محمد بن رسول البَرْزَنْجي
1040-1103هـ/1630-1691م

الجاذبُ الغَيْبيّ إلى الجانبِ الغَرْبيّ

في حَلِّ مُشْكِلاتِ الشَّيخِ مُحيي الدِّينِ ابنِ العَرَبيّ

تحقيق: د. ناصر محمد يحيى ضميرية

مراجعة وتقديم: د. بكري علاء الدين

مع تقديم عام لمشروع المكتبة الأكبرية
بقلم د. سعاد الحكيم

تقديمُ المكتبةِ الأَكبَريَّةِ

د. سعاد الحكيم

بدأ الاهتمامُ بتجربة الشَّيخ الأكبر مُحيي الدِّين بنِ عربيّ الشَّخصيَّةِ وبأفكاره الكُبرى وأُمّات مؤَلَّفاته مُنذ بداية حياته الصُّوفيَّة. وربَّما يُمكننا أن نَقولَ إنَّ ابن رُشدٍ هو أَوَّلُ من اهتمَّ بتجرِبة ابن عربيّ وفكره عندما طلب لِقاءَه ليُعايِنَ حالَه بنفسه، وكان ابنُ عربيّ لا يزال فتًى "ما بَقَلَ وَجْهُهُ ولا طَرَّ شارِبُهُ"، وقد خرج من خَلوتِهِ الأُولى[1].

إلّا أَنَّ الشَّخص الأكثر اهتمامًا بتجرِبة ابن عربيّ والأبعد أثرًا هو ابنُ عربيّ نفسُهُ. وقد تجلّى اهتمامُهُ هذا في عِدَّة أعمالٍ لهُ أكتفي بذكر أربعةٍ منها:

فهو - أَوَّلًا - قد أيقَنَ بأنَّ ما حدَثَ له من فُتوحٍ حقيقةٌ لا وهمٌ، وآمنَ بتجرِبته الشَّخصيَّة فرَعاها وأَصَّلها وثبَّتها ونَمّاها بالاشتغال على الذّات واكتساب الخبرات الخاصَّة بتلقِّي الإلهامات والفُتوحات. فقصدَ مشايخ عصره المعروفينَ بالتَّربية والرِّياضات وأخذ منهم في حُدود حاجته ما يُجانِس خصوصيَّة تجرِبته، دون جرحٍ لاستقلاليَّته وتفرُّده، ودون انضواءٍ تحت جناح أيِّ شيخٍ أو تسليمه مقاليدَ تجرِبته الشَّخصيَّة.

وهو - ثانيًا - نسجَ حول تجرِبته وفكره نسيجًا إنسانيًّا، فقرَّب من توسَّم

---

(1) الإشارةُ هنا إلى اللقاء الذي حدثَ بين ابن رُشدٍ وابن عربيّ في قرطبة، والحوار الذي دارَ بينهما بشأن المعرفة الفلسفيَّة نتاج الفِكر، والمعرفة الصُّوفيَّة نتاج الفتح والإلهام، وقال فيه ابن عربيّ قولتَهُ الرَّمزيَّةَ المشهورةَ: "نعم ولا". يُنظَر: **الفُتوحات المكيّة**، تحقيق عثمان يحيى، القاهرة 1972، ج2، ص372.

فيهم النَّباهة والهِمَّة والأهليَّة للعلم الصُّوفيّ. واتَّخذَتْ عَلاقته بهم شَكلَ صُحبةٍ إنسانيَّةٍ وتلمذةٍ رفيقةٍ وبُنُوَّةٍ لصيقةٍ، لا شَكلَ شيخٍ - مُريدٍ. فأسَّس بهذا العمل مدرسةً صوفيَّةً لا طريقةً صوفيَّةً، وأرسى دعائمَ نهجٍ معرفيٍّ لا يزالُ وَلّادًا ومتنوِّعًا ومُتناميًا عبرَ الزَّمن؛ فلِكلِّ تلميذٍ بَصمتُهُ الشَّخصيَّةُ ومعالمُ تكوينِهِ الرُّوحيِّ والمعرفيِّ.

وهو - ثالثًا - قد اختار التَّدوين ولم يكتفِ بالرِّواية الشَّفاهيَّة لتجاربه الصوفيَّة، فحفظ بذلك عباراتِهِ وألفاظَهُ نقيَّةً في سطور كُتُبه ومؤلَّفاته، لتَطمئنَّ الأجيالُ اللاحقةُ إلى أنَّ ما وصلَ إليها من نصوصٍ هو ما قالَهُ حقًّا ويقينًا.

وهو - رابعًا - شاركَ مُشارَكَةً فاعِلَةً في ورشةِ قراءةٍ لكُتُبه ورسائله في حلقاتِ سَماعٍ ضَمَّت الكثيرَ من طُلّابه والمهتمِّينَ بالفِكر الصُّوفيِّ، ولا سيَّما حينَ استقرَّ بهِ المقامُ في مدينة دمشق. وقَد أسهمَت حلقاتُ السَّماع هذه في بيان أفكار الشَّيخ الأكبر وفي تفكيك مُشكِلات نُصوصه لعددٍ غير قليلٍ من العُلماءِ والمتعلِّمِينَ، مُمَهِّدَةً السَّبيلَ أمام الجيل اللاحق من كِبارِ شُرّاحِ كتبه، ولا سيَّما كتابُهُ فُصوصُ الحِكَم، وكذلكَ لِتسرُّب أفكاره إلى بيئاتِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ النُّخبَويَّةِ والعامَّة.

* * *

إنَّ الاهتمام بأفكار ابن عربيّ الذي بدأ في حياته لَم يَنقطِعْ إلى يومنا هذا، وإن خبا توهُّجُه في بلدٍ مّا لظُروفٍ علميَّة أو سياسيَّةٍ برزَ وتوقَّدَ في بلدٍ آخَرَ بعنايةِ علماءَ وأدباءَ ومشايخَ. ويمكنُ القولُ - دونَ مُبالغةٍ - إنَّه لم يأتِ حينٌ من الزَّمان اختفى فيه كلِّيًّا الاهتمامُ بابن عربيّ، دراسةً أو قراءةً، وإنَّ هذا الاهتمام كان ناطقًا بلغاتٍ مختلفةٍ لا بالعربيَّة فقط (لعلَّ أهمَّها: التُّركيَّة والفارسيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة والإسبانيَّة)، وإن أصداءه تجاوبت في فضاءاتٍ قَصِيَّةٍ، جُغرافيًّا ودينيًّا.

وسأحاولُ، في وَصفٍ سريعٍ يُناسِبُ هذا التَّقديم، أن أذكُرَ بعضَ طبقات المهتمِّينَ بالتُّراث الأكبريّ والفاعلِينَ فيه، وأن أضعَها ضمن مسارَينِ: مسارٍ ناطقٍ باللغة العربيَّة، ومسارٍ ناطقٍ بلغاتٍ أخرى غير العربيَّة.

يبدأُ المسارُ النّاطقُ باللغة العربيَّة بطبقة تلامذة ابن عربيّ المقرَّبينَ، ومنهم: بدرٌ الحبشيُّ صاحب مؤَلَّفِ وحيدٍ وصل إلينا هو **الإنباهُ على طَريقِ الله**[1]؛ وإسماعيلُ بنُ سودكين (ت. 646هـ/ 1248م) الذي اهتمَّ بشرح أفكار ابن عربيّ، وألَّف عدَّة كتبٍ، منها **كَشفُ الغايات في شَرحِ ما اكتَنَفَتْ عَلَيهِ التَّجَلِّيات** (وهو شرحٌ لكتاب ابن عربيّ **النَّجَلِّيات**)، و**وَسائلُ السّائل**. أمّا التِّلميذُ الأبعدُ أثرًا في نشر فكر الشَّيخ الأكبر فهو ربيبُهُ صَدرُ الدِّينِ القونويُّ (ت. 672هـ/ 1274م) الذي كان صديقًا لجلالِ الدِّينِ الرُّوميِّ (ت. 672هـ/ 1274م) واستاذًا لقُطب الدِّينِ الشِّيرازيِّ (ت. 710هـ/ 1311م)، والذي استطاع إنشاء لَفيفٍ من العلماء المُدرِكِينَ لِمَرامي أفكار الشَّيخ الأكبر عبر مَجالسه العلميَّة. ومن كتبه التي مِحوَرُها فِكرُ ابن عربيّ: **الفُكوك في أَسرارِ مُستَنداتِ حكم الفُصوص**، وهو، كما يقولُ القونويُّ، "فَكّ خُتومها وكشف أُصول مَراتبِ مَن أُضيفَ إليه، دونَ التَّصدِّي لشرحِ الكتاب"[2]؛ و**مِفتاحُ الغَيب**[3]، الذي يتبنّى فيه وفي كثيرٍ من كُتُبِهِ نَهجَ شيخِهِ ابنِ عربيّ في تكريسِ "الإلهام" مصدرًا أساسيًّا للمعرفةِ الصُّوفيَّةِ.

وبينَ نهايات القرن السّابع وبدايات القرن الحادي عشر الهجريَّيْنِ، بدأَت تتوالى الشروحُ لكتب ابن عربيّ وتفكيكُ مُعضلاتِها ورُموزِها، وكذلكَ المؤَلَّفاتُ التي تُدافع عن عقيدتِهِ في مواجهةِ خُصومِهِ والمُنكِرِينَ عليه.

ومن الشُّرّاحِ بعد صَدر الدِّين القونويِّ[4]: مُؤَيَّدُ الدِّينِ الجَنْديُّ (تلميذُ

---

(1) نَشَرَ هذا الكتابَ بتحقيقٍ علميٍّ مع ترجمةٍ إلى الفرنسيَّة المتبحِّرُ في الدِّراسات الأكبريَّة دينيس غريل، وقد صدر في المعهد الفرنسيِّ للآثار الشرقيَّة بالقاهرة، سنة 1979 في سلسلة "الحوليّات الإسلاميَّة" ANNALES ISLAMOLOGIQUES، المجلَّد 15.

(2) حقَّقَهُ محمَّد خواجوي، طهران 1427هـ، ص149-264 (تُراجَع خصوصًا الصَّفحتان 263 و264).

(3) يُنظَر: محمَّد خواجوي، تحقيق مفتاح الغيب، مستقلًّا ثُمَّ مع شرح الفناريّ عليه، طهران 1426هـ

(4) أحصى عثمان يحيى 120 شرحًا كاملًا أو جزئيًّا لـ فُصوص الحِكَم، منها شروحٌ بالتُّركيَّة والفارسيَّة، مع ذِكرِ أماكن وُجودِ مخطوطاتها في العالم في كتابه: **مؤَلَّفاتُ ابنِ عربيّ: تاريخُها وتصنيفُها** *Histoire et classification de l'oeuvre d'ibn Arabi*، ج1، ص ص 240-256، الذي صدر في المعهد الفرنسيِّ بدمشق سنة 1964، في جزءين وترجمة شيخ الأزهر في اللغة العربية، انظر: ص10، حاشية (1).

القونويّ) وكتابُهُ هو **شَرحُ فُصوص الحِكَم**؛ وعبدُ الرَّزّاقِ القاشانيُّ وكتابُهُ هوَ **شَرحُ فُصوص الحِكَم**؛ وداوُدُ القيصريُّ (ت. 751هـ/ 1350م)، تلميذُ القاشانيّ، وكتابُهُ هوَ **مطلعُ خُصوص الكلم في مَعاني فُصوص الحِكَم**، الذي كتبَ الخُمَينيُّ تَعليقًا عليهِ باللُغة العربيَّة عنوانُهُ **تَعليقاتٌ على شَرح فُصوص الحِكَم** (طُبعَ في قُم عام 1410هـ/ 1989م)؛ وعبدُ الكريم الجيليُّ وكتابُهُ هو **شَرحُ مُشكِلات الفُتوحات المَكّيَة** (وهو شرحٌ لِبابٍ واحدٍ من **الفُتوحات المَكّيَة** لابن عربيّ هو الباب 559)؛ وحيدر آملي (ت. في نحو عام 786هـ/ 1384م) وكتابُهُ هو **نَصُّ النُّصوص في شَرح فُصوص الحِكَم لمُحيي الدِّين بن عربيّ**؛ ومصطفى بالي زادة (ت. 1069هـ/ 1659م) وكتابُهُ هوَ **شرح فُصوص الحِكَم**.

وفي المرحلةِ الزَّمنيَّةِ نفسها، من القرن السّابع إلى القرن الحادي عشر الهجريَّيْنِ، ظهر كثيرٌ من العلماء الذين أَلَّفوا في الدِّفاع عن عقيدة ابن عربيّ وشرح أَفكاره. ونحنُ هُنا سنَتَجاوزُ مَن أَفردوا له فصلًا في كتابٍ وهم كُثرٌ، لنذكُرَ مَن خصَّص له مؤَلَّفاتٍ كاملةً، ومنهم: القاريُّ البغداديُّ في كتابه **الدُّرُّ الثَّمين في مَناقبِ الشَّيخ مُحيي الدِّين**؛ والسُّيوطيُّ (ت. 911هـ/ 1505م) في كتابِهِ **تَنبيهُ الغَبيّ لِتبرئةِ ابنِ عَرَبيّ**؛ وعبدُ الوهّابِ الشّعرانيُّ (ت. 973هـ/ 1565م) ولا سيَّما في كتابَيْهِ **الكِبريتُ الأَحمَر في بَيانِ عُلومِ الشَّيخ الأَكبَر واليَواقيتُ والجَواهِر في بَيانِ عَقائدِ الأَكابِر**، وهوَ من أَبرزِ المدافعينَ في زمانِهِ عن عقيدة الشَّيخ الأَكبر، وقَد يكونُ أَوَّلَ مَن أَظهَرَ فكرةَ "الدَّسّ" في كُتُب ابن عربيّ الذي زُعِمَ أَنَّهُ لم تنجُ منه حتّى موسوعتُهُ الكُبرى **الفُتوحاتُ المَكّيَة**؛ وعبدُ الغنيّ النابلسيُّ (ت. 1143هـ/ 1731م) في كتابَيهِ **الوُجودُ الحَقُّ والرَّدُّ المَتين على مُنتَقِصي الشَّيخِ مُحيي الدِّين**.

وفي عصرِ النَّهضةِ العربيِّ، في نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديَّيْنِ، الذي ظَهَرَ فيهِ تقديرُ كَثيرٍ من رجالاتِ النَّهضَةِ، كالأَفغانيّ ومحمَّد عبده وغيرِهما، للنَّمَطِ الصُّوفيِّ المتمثِّل في تُراثِ الشَّيخ الأَكبر، برزَتْ قامةٌ عاليةٌ في الدِّراسات الأَكبريَّة هيَ قامَةُ الأَمير عبد القادر الجزائريّ (ت. 1300هـ/ 1883م) الذي أَراد التَّثَبُّتَ من مسأَلة "الدَّسّ" في كتب الشَّيخ الأَكبر ولا سيَّما **الفُتوحاتُ المَكّيَة**، وهي المسأَلةُ التي كان الشّعرانيُّ قد أَثارَها

قبل ثلاثمئةِ سنةٍ. فأرسل الأميرُ لهذا الغرض، مُنفِقًا مِن مالِهِ الخاصِّ، الشَّيخ محمَّد بن مصطفى الطندتائيَّ (الطَّنطاويَّ الأزهريَّ) والشَّيخ محمَّد بن المُبارك الجزائريَّ (ت. 1313هـ) إلى مدينة قونية سنة 1287هـ لمقابلة طبعة بولاق الأُولى لِكتابِ **الفُتوحات المَكّيّة** على مخطوطٍ لهذا الكتابِ موقوفٍ في مكتبة صَدر الدِّين القونويِّ في قونية. وهذا المخطوطُ بخطِّ ابن عربيّ للكَتْبَةِ الثّانية لِكتابِ **الفُتوحات** التي أنجزها عام 632هـ في 37 سِفرًا، ولا يزال هذا المخطوطُ مَحفوظًا في "متحف الفنون الإسلاميَّة" باستنبول.

وقد أجرى الشَّيخانِ المقابلةَ مرَّتينِ على المخطوط الأَصل، وعادا بالنُّسخة المطبوعة التي تَضُمُّ المقارناتِ إلى دمشق، وعنها نُقِلَت نُسختانِ أُخرَيانِ؛ إحداهُما بِخطِّ عبد المَجيد الخانيِّ وهيَ المحفوظةُ في قونية، والأُخرى بِخطِّ الشَّيخ عبد الرَّزّاق البيطار الذي وثَّق الواقعة في كتابه حِليَة البشر (ج1 ص335)، ولا نعرفُ مَصيرَ هذه النُّسخة. والجديرُ بِالذِّكر أَنَّ هذه المقابلة بين المطبوع والمخطوط أَثبتَتْ عَدَمَ وجودِ اختلافاتٍ بينَهما تشكِّلُ فرقًا يغيِّر معنًى أَو يُضيفُ فكرةً، بِما يَجعلُ مقولةَ "الدَّسّ" في **الفُتوحات** مَقولةً غير علميَّةٍ.

ولم يَبلُغْنا أَنَّ الأمير عبد القادر الجزائريَّ نشر **الفُتوحات المَكّيّة** بعد هذا التَّحقيق العلميِّ للنَّصِّ، إلّا أَنَّ عثمان يحيى أَهدى عمله الجادَّ والمهمَّ في تحقيق **الفُتوحات المَكّيّة** إلى الأمير عبد القادر، وذكرَهُ في الصَّفحات الأُولى من السِّفر الأَوَّل وما تلاه من أسفار، واصِفًا إيّاهُ بعبارة: "تلميذ الشَّيخ الأكبر في القرن التّاسع عشر وناشر **الفُتوحات المَكّيّة** لأَوَّل مرَّةٍ". وقد يَكونُ الأَدَقُّ أَن يُقالَ: إنَّ الأمير عبد القادر هو المحقِّقُ الأَوَّلُ لِكتابِ **الفُتوحات المَكّيّة** لا النّاشرُ له. ومعَ أَنَّ عمل الأَمير عبد القادر لم ينصبَّ على تحقيق كتب ابن عربيّ، إلّا أَنَّه دشَّن مسارًا في البحث الأكبريِّ هو مسارُ تحقيق الكتب، ثُمَّ إنَّ كتابه **المواقِف** يمثِّل مرحلةً ناضجةً من مراحل فهم أَفكار الشَّيخ الأكبر وتوضيحها.

وفي بدايات القرن العشرين الميلاديِّ بدأت الدِّراسات الأكبريَّة تتَّخذ ملامحَ جديدةً، إذ بدأَت أفكار ابن عربيّ تخترقُ أَسوارَ الخُصوصيَّة الصُّوفيَّة لتكونَ

حاضرةً وفاعلةً في مجالاتٍ علميَّةٍ وثقافيَّةٍ. وبدأ الاهتمامُ الأكاديميُّ بتُراث ابن عربيّ، بتوجيهٍ من المستشرقينَ أحيانًا. والكثيرُ من دارِسي ابن عربيّ في القرن العشرينَ بدأتْ عَلاقتُهم بأفكاره بعد اختيارِه موضوعًا لأُطروحاتهم لنيلِ **شهادة الدُّكتوراه**، ومنهم الباحثُ المصريُّ الكبير أبو العلا عفيفي (ت. 1966م) في أُطروحته باللغة الإنكليزيَّة التي أشرفَ عليهِ فيها رينولد نيكلسون وعنوانها *The Mystical philosophy of Muhyid din Ibnul Arabi*، وقد صدرت في طبعةٍ مشتركةٍ بين منشورات جامعة كامبردج في إنكلترا ودار أشرف للطِّباعة في لاهور باكستان عامَ 1938م، وتُرجِمَت إلى العربيَّة بعنوان **الفَلسَفَةُ الصُّوفيَّةُ لابنِ عَرَبيّ**، ثُمَّ في تحقيقه وشرحه لكتاب **فُصوص الحِكَم**؛ والمحقِّقُ المدقِّقُ السُّوريُّ الكبيرُ عثمان يحيى (ت. 1997م) في أُطروحتَيْهِ باللغة الفرنسيَّة اللتَيْنِ أشرفَ عليهِ فيهما ريجيس بلاشير، والأُولى عُنوانُها *Histoire et classification de l'oeuvre d'ibn Arabi* وقد نُشِرَتْ كتابًا في مجلدين بالفرنسيَّة في دمشق عام 1964[1]، والثانيةُ تحقيقٌ وترجمةٌ لِكتاب **التَّجَلِّيات** لابن عربيّ.

وقد اعتنى عثمان يحيى في سبعينيّات القرن العشرينَ بتحقيق كتابِ **الفُتوحات المَكِّيَّة** ونَشَرَهُ في القاهرة، وقَد صدرَ منه 14 سِفرًا من أصل 37 وتُوُفِّي المحقِّقُ رَحِمَهُ اللهُ (1418/ 1997) قبل إنجاز مشروعه الطَّموح؛ وسعادُ الحكيمُ، كاتبةُ هذا التَّقديم، في أُطروحتها عن المُصطَلَح عند الشَّيخ الأكبر، لنيل شهادة الدُّكتوراه بإشراف الأب بولس نويا (وكانَت المناقشةُ في عام 1978م)، وعنوانُها **الحِكمَة في حُدودِ الكَلِمَة**، وهيَ تشكِّلُ نَحوَ نِصفِ كتابِها الصّادر في لبنان عام 1981م بِعُنوان **المُعجَم الصُّوفيّ: الحِكمَة في حُدودِ الكَلِمَة**. وقد نشَرَتْ بعدَ المُعجَم كثيرًا من الدِّراسات، وأَلَّفَتْ كتبًا عن ابن عربيّ، وحقَّقتْ كتابَينِ لهُ، هما: **مَشاهِدُ الأَسرارِ القُدسِيَّة** (بمشاركة المستشرق الإسبانيِّ بابلو بنيتو، وقَد نُشِرَ النَّصُّ مع ترجمةٍ إلى اللغةِ الإسبانيَّة)، **والإسرا إلى المَقامِ الأسرى أو كِتابُ المِعراج**؛ ونَصر

(1) ترجم شيخُ الأزهر الدُّكتور أحمد الطَّيِّب هذا الكتاب إلى العربيَّة، ونُشِرَ عامَ 2001م في الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، بعنوان مؤلَّفات ابن عربي: تاريخُها وتصنيفُها.

حامد أبو زيد (ت. 2010م) في أُطروحته لنيل شهادة الدُّكتوراه التي نُشِرَتْ في الدار البيضاء 1998 بعنوان **فلسفة التَّأويل: دراسةٌ في تأويل القرآن عند محيي الدّين بن عربيّ**، وكذلكَ في كتابه **هكذا تكلَّمَ ابنُ عربيّ** (2004).

وتوالت أَقلامٌ شابَّةٌ من الأَكاديميِّينَ لتحفرَ في النَّصِّ الأكبريِّ، وهم كُثرٌ والمستقبلُ يَعِدُ بالمزيد، ومنهم: محمَّد المصباحي في كتابه **نعم ولا: الفكرُ المُنفَتِحُ عندَ ابن عربيّ**؛ وساعد خميسي في كتابَيْهِ **نظريَّةُ المعرفةِ عند ابن عربيّ** (2001) **والمُسافرُ العائد** (عام 2010)؛ ومحمَّد عليّ حاج يوسف في كتابه **شمسُ المغرب: سيرةُ الشَّيخ الأَكبر محيي الدين ابن العربيّ ومذهبُه** (حلب 2006م)؛ والصَّديقةُ الأكبريَّةُ ليلى خليفة التي كتبَتْ بالعربيَّة وبالفرنسيَّة، ومن مؤَلَّفاتها: كتابُ ابنِ عربيّ **التَّوقيف عَلى أَسرارِ الفُتُوَّة** *L'initiation à la Futuwwa* Ibn Arabi,[1]، وكتابُ **وَرَقات أَكبَرِيَّة: الفقهُ الرّوحانيُّ والعِلمُ العِرفانيُّ، مَذهبُ مُحيي الدِّين ابن عربيّ**، الذي نُشِرَ في المكتبة الفلسفيَّة الصُّوفيَّة في الجزائرِ عامَ 2017؛ وعبد الإله بن عرفة الباحث والروائيُّ المغربيُّ الذي أَضاف إلى دراساته الأَكاديميَّة إضافةً مهمَّةً بإبداعه في عالم الرِّواية العرفانيَّة فنشر عام (2002م) رواية **جَبَل قاف: حولَ سيرة ابن العربيّ الحاتميّ** وهو بصدد نشر كافة أشعاره في عدة مجلدات.

وكذلكَ تميَّزت نهاياتُ القرن العشرينَ وبداياتُ القرن الحادي والعشرين بإقبالٍ مَلحوظٍ على نشر كتب ابن عربيّ، فتدفَّقت إلى المكتبة العربيَّة عشراتٌ من رسائل ابن عربيّ غير المحقَّقة علميًّا والمنحولة أَحيانًا. لكِنْ ظهرَ، بإزاءِ ذلكَ، جيلٌ من المحقِّقينَ الجادِّينَ الذينَ أَكملوا عمل السّابقِينَ، بحيثُ أَصبحَ مُعظَمُ تُراثِ ابن عربيّ اليومَ متوافرًا ومحقَّقًا. ومن المحقِّقينَ الجادِّينَ، زيادَةً على مَن سبق: عبدُ العزيز المنصوب، الذي نشر كتاب **الفُتوحات المَكِّيَّة** كاملًا بتحقيقٍ علميٍّ دقيقٍ، فضلًا عن عددٍ من الكتب والرَّسائل نحو **فُصوص الحِكَم وعَنقاءُ مُغرِب ومَواقع النُّجوم والتَّنزُّلات الموصليَّة والمَحَجَّة البَيضاء**؛ وبكري علاء الدِّين

(1) المنشور بالفرنسيَّة في دار البراق عامَ 2001، باريس-بيروت.

... عبد الغني عزيز من باب تلامذته، فحقَّق كتاب **الوُجود الحقّ** للنّابلسيّ. ... دمشق، 1995، وكتاب **المَواقِف** للأمير عبد القادر ... دمشق، 2014.

... يحتاج إلى وقفةٍ خاصَّةٍ وتدبُّرٍ من الباحثينَ الصُّوفيين ... وعبر تدويناتهم) لرصد مناحيهِ وخُصوصيّاته، وبداياته وغاياته، ... والمحطّات الفكريَّة لرجالاته وأثرها في إعادة إنتاج نصّ ابن عربيّ ... الاضطلاع على معظمها بِتْنا مُقتنعِينَ بأنَّ التّناوُلَ الأكاديميَّ لأفكار ابن عربيّ الصُّوفيَّة أخضعها في بعض الأحيان لمَعاييرَ، وطبَّق عليها مناهج ... عربيّة على طبيعة إنتاجها المعرفيَّة-الذَّوقيَّة.

وعلى نزعة من حضور البحث الأكاديميّ الذي يتناول فكر ابن عربيّ ... فإنّه يحتَكِر الدِّراساتِ الأكبريَّةَ، وظلَّ الفضاءُ مفتوحًا أمام باحثينَ صُوفيّينَ وعلماءَ وعارفينَ، وأمام إبداعاتهم ودراساتهم الحرَّة. ويُثيرُ انتِباهَنا في هذا السِّياقِ عَلَمانِ مُعاصرانِ في الدِّراسات الأكبريَّة، على ما بينهما من ... أحدُهما هو الشَّيخ محمود محمود غراب الذي تميَّز بقراءةٍ رصينةٍ ... فكر ابن عربيّ، فجمع الفكرة الواحدة المبثوثة في سطور الشَّيخ الأكبر في ... مستقرٍّ. فهيَّأ للباحثينَ مادَّةً متكاملةً جاهزةً للدِّراسة، إلّا أنَّه استرجَعَ مسألةَ ... في كتب ابن عربيّ، وغضَّ الطَّرْفَ عن كل المُعطيات العلميَّة ليُنكِرَ مثلًا ... كتابَيْ **فصوص الحِكَم والتَّجلّيات الإلهيّة** إلى ابن عربيّ. ومن جهوده المهمَّة ... فكر ابن عربيّ تأليفُهُ كتبًا مفيدةً نحو: **الفِقهُ عندَ ابن عربيّ**، **والحُبُّ والمحبّة الإلهيّة**. و**مُحيي الدّين ابن عربيّ: ترجمةُ حياتِهِ من كلامِه**، **والخيالُ عالمُ البرزخ والمثال**. أمّا الآخَرُ فهو الشَّيخ عبد الباقي مفتاح الذي أشهد له بكلّ تواضعٍ ... صاحبُ فتوحاتٍ كبيرةٍ وأصيلةٍ في تُراثِ ابن عربيّ، وأنّي تعلَّمتُ من كتبه ... الكثيرَ عن بنية النَّصّ الأكبريّ ومصادر تكوينه القرآنيَّة. ويحلِّق عبد الباقي مفتاح ... جيِّدٍ في فضاءاتٍ لا تبلُغُها أجنحةُ عقولنا، ويغوصُ أحيانًا في أعماقٍ تَنقَطِعُ ... دونها أعناقُ. ومعَ ذلك لا ينقطعُ التَّواصلُ والوصالُ بين عقل القارئ المتدبِّر ... وبعد بُعده. إنَّ للشَّيخ عبد الباقي مفتاح مِن اسمِهِ مع ابن عربيّ نصيبًا؛ فهو ... حقًّا مفتاحٌ من مفاتيح فهم الشَّيخ الأكبر. ومن كتبه: **خَتمُ القرآن: مُحيي الدين**

ابن عربيّ، والمفاتيح الوجوديّة والقرآنيّة لكتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، **والشّرح القرآنيّ** لكتاب مشاهد الأسرار القدسيّة للشّيخ الأكبر محيي الدّين ابن **عربي، والحقائق الوجوديّة الكبرى.**

والآنَ، بعدَ هذا السّرد المتدرّج لمسار الاهتمام بتراث ابن عربيّ بالمعه العربيّة، نعرّج على الاهتمام النّاطق بلغاتٍ أخرى غير العربيّة، سواءٌ أكان الباحث أو الدّارس من المسلمين أم من غيرهم. ونحصر رصدنا هذا في المهتمّين بتراث ابن عربيّ والعاملينَ عليه، فلا يَشملُ من أثّرتْ فيهم أفكارُهُ والذين أدرجوا رُؤاهُ في رُؤاهم الصُّوفيّة والعرفانيّة والفلسفيّة، كما في الفكر العرفانيّ الفارسيّ.

ونبدأُ بالتّعريج على الفضاء التُّركيّ. فقد ظهرت شروحٌ لأفكار ابن عربيّ مع ترجماتٍ وتحقيقاتٍ وشروحٍ لبعض كتبه. ومن الباحثين النّاطقين باللغة التُّركيّة: الأكاديميُّ الكبير مصطفى طهرلي الذي ترجم إلى التُّركيّة الحديثة شرح عفني قونق على **فُصوص الحِكَم**؛ والباحث محمود إيرول قليج الذي سهّل للباحثين سبيلَ الحصولِ على صُوَرٍ رَقميّةٍ نَوعيّةٍ من كتاب الفُتوحات المكّيّة بخطّ ابن عربيّ نفسه، المحفوظ حاليًّا في مُتحَفِ الآثار الإسلاميّة باستنبول بعد أن كان في "مُتحَف الأوقاف"؛ وكتاب **فُصوص الحِكَم** بخطّ القونويّ، حين كان الدكتور محمود إيرول قليج مديرًا لمتحف الآثار الإسلاميّة باستنبول؛ وأخيرًا الدكتور سميح جهان الباحث في "مركز الدّراسات الإسلاميّة" (ISAM) بأسكدار-استنبول.

ونُثنّي بالاهتمام الغربيّ بتراث ابن عربيّ والنّاطق بالفرنسيّة أو الإنكليزيّة أو الإسبانيّة أو الألمانيّة. ففي منتصف القرن التّاسع عشر الميلاديّ نشر غوستاف فلوغل كتاب **اصطِلاحات الصُّوفيّة** لابن عربيّ؛ وفي عام 1911م نُشِرَت أوّلَ مَرّةٍ ترجمةُ نيكلسون إلى الإنكليزيّة لديوان ابن عربيّ **ترجمان الأشواق**؛ وفي عام 1919م نشر نيبرغ في مدينة لَيْدن ثلاثَ رسائلَ لابن عربيّ هي **إنشاء الدّوائر، وعقلة المُستوفز، والتّدبيرات الإلهيّة في إصلاحِ المَملَكَة الإنسانيّة**، وقد كتبَ المُحَقّقُ مقدّمةً مستفيضةً لهذه المؤلّفات الثّلاثة على شكل دراسةٍ مُعَمّقةٍ باللغة الألمانيّة تزيد على مئتَيْ صفحةٍ؛ وفي عام 1931م نشر آسين بلاثيوس كتابًا باللغة الإسبانيّة جمعَ فيه دراساتِهِ عن ابن عربيّ بعنوان *El Islam Cristianizado* (**الإسلام**

المُنَصْرَن)، وقد ترجم عبد الرَّحمن بدوي للباحث نَفسِهِ الأَب آسين كتابَهُ **ابنُ عربيّ وفكرُه**، إلى العربيَّة بعنوان **ابنُ عربيّ: حياتُهُ ومذهبُهُ**، وطُبِعَ في بيروت-الكويت عامَ 1979.

ومنذُ منتصف القرن العشرينَ نشط الاهتمامُ الغربيُّ بابن عربيّ وتوالَت التَّرجمات والدِّراسات المتعلِّقَةُ به. ومن أَعلام المتخصِّصينَ بابن عربيّ والمهتمِّينَ بتراثه: ميشيل فالسان من فرنسا (ت. 1974م) الذي أَثَّر في عَدَدٍ من كبارِ المُهتمِّينَ بابنِ عربيّ، ومنهم: شارل أَندريه جيليس، وميشيل شودكيفيتش، وموريس غلوتون، ودينيس غريل. وقد ترجم فالسان إلى الفرنسيَّة رسائلَ لابن عربيّ نُشِرَت في مجلّاتٍ متخصِّصةٍ أَو في كتبٍ في أَواخر أَربعينيّات القرن الماضي وبداية خمسينيّاته، منها: **كتابُ الجَلالَة**، وكتاب **حلية الأَبدال**، والكتاب الذي نُشر بعد وفاته وهو كتابُ **الفَناء في المُشاهَدَة**؛ وهنري كوربان (ت. 1979م) في كتابه المشهور بالفرنسيَّة *L'imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn 'Arabi* الذي نُشِرَ في باريس عامَ 1958 والذي تُرجِمَ إلى الإنكليزيَّة ثُمَّ إلى العربيَّة بعنوان **الخَيال الخَلّاق في تصوُّفِ ابن عربيّ**؛ والباحثُ البلجيكيُّ شارل أَندريه جيليس الذي نَهَجَ نَهْجَ رينيه غينون وميشيل فالسان، وترجم كتابَ **فُصوص الحِكَم** إلى الفرنسيَّة، ونشرَتْهُ كاملًا في مجلَّدَينِ دارُ البراق، في بيروت-باريس، في عامَيْ 1997م و1998م بِعنوان *Le livre des chatons des sagesses*، وكتاب **الميم والواو والنُّون** المنشور أَيضًا في دار البراق عام 2002 بِعنوان *Le Livre du Mîm, du Wâw et du Nûn*؛ وموريس غلوتون (ت. 2017م) في ترجمته الفرنسيَّة لديوان ابنِ عربيّ **ترجمانُ الأَشواق** (1996م)، وترجمته للباب الثّامن والسبعينَ والمئة من كتابِ **الفُتوحات المَكِّيَّة** "في معرفةِ مَقامِ المَحَبَّة" بِعنوان *Traité de l'amour* التي نُشِرَتْ في باريس عامَ 1986م، وكتاب **شَجَرَة الكَون**[1] المترجَم

(1) أَثبتَ الباحثُ يونس علوي مدغري أَنَّ هذا الكتابَ مَنحولٌ، وليسَ مِن تأليف ابن عربيّ، وعزاهُ إلى مؤَلِّفِهِ الأَصلي عزِّ الدِّينِ عبدِ السَّلامِ بنِ أَحمدَ بنِ غانمٍ المقدسيّ (ت 678/ 1280)، وهوَ موضوعُ دبلوم نُشِرَ كِتابًا في باريس عامَ 1992.

بِعنوان *l'arbre du monde* الذي نُشِرَ في باريس عامَ 1990م. أمّا العالِمُ الغربيُّ الأكبرُ بتراث الشَّيخ الأكبر فهو ميشيل شودكيفيتش - رحمه الله - الذي وسَّعَ دائرة الاهتمام بأفكار ابن عربيّ وأسهم في تصويب بوصلة البحث الغربيّ وتخليصه من الانزياحات إلى فضاءاتٍ عقديَّةٍ غير إسلاميَّةٍ أو غير سُنِّيَّةٍ، وذلك في كتابَيْهِ **خَتم الوِلايَة**[1] **وبَحرٌ بِلا ساحِلٍ**، وفي إشرافه على ترجمة أجزاءٍ من **الفُتوحات المَكِّيَّة** إلى الفرنسيَّة والإنكليزيَّة اشترَكَ فيها أربعةٌ من الباحثِينَ الغربيِّينَ المختصِّينَ بالدِّراساتِ الأكبريَّةِ، هم وليم تشتيك، وجيمس موريس، وسيريل (كيرلّس) شودكيفيتش، ودينيس غريل، ونُشِرَت التَّرجمةُ بِعنوان *Les Illuminations de la Mecque*، في دار سندباد (sindbad) في باريس عامَ 1988. وكذلكَ برزَ في أُفُق الغرب الفرنسيِّ باحثٌ أكبريٌّ مدقِّقٌ مُثيرٌ للاهتمام بنهجه الصُّوفيِّ وطلاقةِ لسانِهِ باللغة العربيَّة هو الصَّديقُ دينيس غريل الذي أنجَزَ عِدَّةَ دراساتٍ وترجماتٍ، منها: إسهامُهُ في الكتاب السّابق، وتحقيقٌ مع ترجمةٍ إلى الفرنسيَّة لكتابِ ابن عربيّ **الإسفار عن نَتائج الأَسفار**، المنشور بِعنوان *Le devoilement des effets du voyage*, Paris, 1994, Éditions de l'Éclat، ورسالَة **الاتِّحاد الكَونيّ في حَضرَةِ الإشهاد العَينيّ بِمَحضَرِ الشَّجَرَةِ الإنسانيَّة والطُّيور الأَربعة الرّوحانيَّة**، المنشورة بالفرنسيَّة عامَ 1984 بِعنوان *Le livre de l'arbre et des quatre oiseaux*، وتحقيقُه لبعض المؤَلَّفات التي تَرجمت لابن عربيّ وأتباعه، منها تحقيقُهُ **رسالة صفيّ الدِّين بن أبي منصور** وترجمتُها إلى الفرنسيَّة في كتابٍ نُشِرَ في المعهد العلميِّ الفرنسيِّ للآثار الشَّرقيَّة، في القاهرة عامَ 1986. ولا ننسى الصَّديقة الباحثة الأكبريَّة، التي تتحلّى بالدِّقَّة والصَّرامة والشَّغَف معًا، السَّيِّدة كلود عدّاس، ابنة ميشيل شودكيفيتش، التي اختارَتْ حياة ابن عربيّ موضوعًا لأُطروحتها لِلدُّكتوراه التي نشرَتْها بالفرنسيَّة عامَ 1989م بعنوان **ابنُ عربيّ: البحثُ عن الكِبريتِ الأَحمَر**[2].

---

(1) ترجَمَه إلى العربيَّة شيخُ الأزهر الدُّكتور أحمد الطَّيِّب بِعنوان **الوِلايَةُ والنُّبُوَّة عندَ الشَّيخ الأَكبَر مُحيي الدِّين بن العربيّ**، ونُشِرَ في دار القُبَّة الزرقاء بمراكش عام 1998م.

(2) نُشِرَ الكتابُ بالعربيَّةِ في دار المَدار الإسلاميّ بِعُنوان **ابنُ عربيّ: حياتُهُ وفِكرُهُ**، عام 2014م.

وفي عام 1977م حدث تطوُّرٌ غربيٌّ في البحث الأكبريّ، إذ أُسِّسَتْ جَماعةٌ مهتمة بفكر ابن عربي، جمعيَّةٌ ثقافيَّةٌ خاصَّةٌ في مدينة أوكسفورد في بريطانيا هيَ "جمعيَّةُ مُحيي الدِّين بن عربيّ" (MIAS)، لأنَّها وجدت أنَّ تعاليمَهُ تُلبّي حاجةَ الإنسان الغربيّ المعاصر إلى تحسين حياته بإشباعِ الجانبِ الرُّوحيّ المَبنيّ على صرحٍ فكريٍّ وأخلاقيٍّ إنسانيٍّ عالميٍّ. وقد مارَسَتْ هذه الجمعيَّةُ عَمَلَها مُستعينةً بِعِدَّةِ آليّاتٍ، لعلَّ أهمَّها: المؤتمرُ العالميُّ السَّنويُّ، والمجلَّةُ الدَّوريَّةُ، والاجتهادُ في جمع نُسَخ مخطوطات كتب ابن عربيّ لِجَعلِها في مُتَناوَلِ الباحثينَ الجادِّينَ.

وسَطَعَ في الغرب الأمريكيّ نجمُ ابن عربيّ مع اهتمام بعض باحثِيهِ بالتَّصوُّف الإسلاميّ عُمومًا وبابن عربيّ خُصوصًا، ومنهم: الباحثُ الأكبريُّ وليم تشتيك الذي نشر عدَّةَ كتبٍ عن ابن عربيّ وأفكاره، منها: كتابُ **مَعالِم طَريق الصُّوفيَّة إلى المعرفة** *The sufi path of knowledge*، الذي نُشِرَ في نيويورك عامَ 1989، وكتابُ **عالَم الخَيال** *Imaginal worlds* الذي نُشِرَ في نيويورك عامَ 1994. ومن موطن ابن عربيّ في أرض الأندلس في إسبانيا اليوم، نشط اهتمامٌ أكاديميٌّ بابن عربيّ لأسبابٍ فكريَّةٍ علميَّةٍ تجاوَبَتْ أصداؤُهُ مع اهتمامٍ رسميٍّ حكوميٍّ يَسعى إلى إحياء التُّراث الأندلسيّ واستعادتِهِ بِصِفتِهِ مكوِّنًا أصيلًا من مُكَوِّناتِ الذّات الإسبانيَّة. ومن وُجوه الأكبريِّينَ في إسبانيا الصَّديقُ بابلو بنيتو الذي **شارَكَتْهُ** في تحقيق كتاب **مَشاهِد الأسرار القُدسيَّة ومَطالِع الأنوار الإلهيَّة** لابن عربيّ، **وتَعاوَنّا** معًا على ترجمتِهِ إلى الإسبانيَّة، والذي يسعى جادًّا إلى تَجذيرِ وُجودِ ابن عربيّ في موطنه عبرَ الدِّراسات، والتَّرجمات، وإقامَة المؤتمرات، والمُشارَكَة في المهرجانات، ومَنح جوائزَ عالميَّةٍ، وإنشاء فرعٍ إسبانيٍّ لجمعيَّة مُحيي الدِّين بن عربيّ.

ولأنَّ من أهدافِ هذا التَّقديم بيانَ قَدْرِ الاهتمام بالتُّراث الأكبريّ وسَعَةِ رُقعتِهِ الفكريَّة والجُغرافيَّة واللغويَّة، لا الإحصاءَ والإحاطةَ، نخلصُ إلى أن نَقولَ:

إنَّ الاهتمامَ بتجربة ابن عربيّ وبتُراثِه الغزير، في مسارَيْه المذكورَيْن آنفًا: المسارِ النّاطق بالعربيَّة والمسارِ النّاطق بغيرِها، تفرَّعَ إلى مجالاتٍ ثمانيةٍ أساسيَّةٍ، هي: حياةُ ابن عربيّ، وشُروحُ الأفكارِ والكتبِ، والدِّراساتُ، والتَّرجماتُ، والتَّلخيصاتُ المُيَسَّرَةُ، والتَّحقيقاتُ، والدِّفاعاتُ والرُّدودُ على المُخالِفِينَ، والرِّوايةُ الصُّوفيَّةُ.

* * *

وقَد جاءَ اهتمامُ دار المَدار الإسلاميّ بتُراث ابن عربيّ في سياقٍ مختلِفٍ عن سياقِ الاهتمامِ الذي سُقْناهُ آنِفًا والذي كانَ مِحوَرُهُ تجرِبتَهُ وأفكارَهُ ونُصوصَهُ. إذ كانَ اهتمامُ دار المَدار الإسلاميّ بابن عربيّ نتيجَةً لِسَعيِها الدّائب إلى البحث عن "الكتاب النَّفيس" والأَصيل بِمُختَلِفِ اللُّغاتِ، لِنشرِهِ على نَحوٍ يَليقُ به من حيثُ إتقانُ مادَّتِهِ وضَبْطُها وتَجويدُ طِباعتِهِ وتَحسينُها.

إنَّ "الكتاب النَّفيس" هو ضالَّةُ دار المَدار الإسلاميّ، وقَد وَجَدَتْ في كتابِ السَّيِّدَةِ كلود عدّاس عن حياة ابن عربيّ وفكره ضالَّتَها. فبدأَ صاحِبُ الدّارِ السَّيِّد سالم الزّريقانيُّ يُعِدُّ العُدَّةَ لترجمتِهِ إلى العربيَّة، وجنَّدَ لذلك ذَوي الكِفايَةِ في مراحل الإعدادِ كلِّها، ولم يَتَسَرَّعْ في نشرِهِ بل عاوَدَ سَحبَ المُسَوَّداتِ مرّاتٍ ومرّاتٍ لِلمُراجَعَةِ والتَّصحيحِ، إلى أَن ظهرَ الكتابُ عامَ 2014م في حلّة مُتَكاملةٍ، ترجمةً ومُراجَعَةً وتَصحيحًا وطباعةً وإخراجًا.

وتكرَّرَ فِعلُ العُثورِ على "كتاب نفيس" مِحوَرُهُ ابنُ عربيّ، وهوَ كتابُ السَّيِّد ميشيل شودكيفيتش **بَحرٌ بِلا ساحِلٍ**[1] بعد أَن مرَّ بالأَشواطِ أَنفُسها التي قطعَها الكتابُ الأَوَّلُ.

وفي المرَّة الثّالثة التي عُرِضَ فيها على صاحبِ دار المَدار الإسلاميّ "كتابٌ نفيسٌ" مِحوَرُهُ ابنُ عربيّ، وافَقَ العَرْضُ فكرةً راوَدَت الكثيرينَ مِنّا، وأَعادَ

(1) نُشِر هذا الكتاب عام 2018.

اقتِراحَها مُجدَّدًا زميلي وصديقي الدُّكتور بكري علاء الدِّين الأُستاذُ في جامعة دمشق، وهي فكرةُ تخصيص سلسلةٍ لابن عربيّ ضمن منشورات الدّار.

فاستقبل صاحبُ الدّار الفكرةَ، على عادته، بالتَّروِّي والدِّراسة، واختارَ أن يوفِّقَ بين بَحثِهِ عن "الكتاب النَّفيس" وتخصيصِ مساحةٍ لابن عربيّ وفكره ضمن منشورات الدّار، فنهض للشُّروعِ في سلسلةٍ غيرِ نمطيَّةٍ، تتَّخذُ شكل "مكتبة أَكبريَّة" ضمن المكتبة الكُبرى التي تُصدِرُها الدّار، على أَلّا تضُمَّ هذه المكتبةُ إلّا "الكتاب النَّفيس" المشهود له بالجودة والأَصالة، بعيدًا عن مُعاودة نشر المنشورِ أَو مُعاودة تحقيق المُحقَّق، إلّا ما تَبَيَّنَت الفائدةُ العلميَّةُ من إعادة نشره أَو تحقيقه.

* * *

وفي إطار هذه "المكتبة الأَكبريَّة"، وبعد الكتابِ الصّادرِ عن دار المَدار الإسلاميّ عامَ 2014م **ابنُ عربيّ: حياتُهُ وفكرُه** للسَّيِّدة كلود عدّاس، والكتابِ الصّادرِ عام 2018م **بَحرٌ بلا ساحِلٍ** للسَّيِّد ميشيل شودكيفيتش.

نقدِّم اليوم كتابَ **الجاذِب الغَيبيّ إلى الجانِب الغَربيّ في حَلِّ مُشكِلاتِ ابنِ العَرَبيّ** لمُحَمَّدِ بنِ رَسولِ البرزنجيّ.

وتعود معرفتي لِهذا الكتاب إلى المرحلةِ التي كُنتُ أُعِدُّ فيها أُطروحتي للدُّكتوراه في الفلسفة الإسلاميَّة في سبعينيّات القرن الماضي، إذ عَرَفْتُ العلّامة الدُّكتور عبد الكريم اليافيّ رَحِمَهُ اللهُ الذي كان يتدارسُ كتاب **الجاذب الغَيبيّ هوَ** وثُلَّةٌ من علماء دمشق. ثُمَّ حصَلْتُ على نسخةٍ مصوَّرةٍ لمخطوطٍ من هذا الكتاب قدَّمَها إليَّ الصَّديقُ رياض المالح رحمَهُ اللهُ. وبعد الاطِّلاع عليها تبيَّنَتْ لي نفاستُها وأدرَجْتُها في قائمة مَصادِرِ أُطروحتي.

فتَحقيقًا لِرغبة السُّلطان سليم العثمانيّ في بدايات القرن العاشر للهجرة (السّادس عشر للميلاد) أَلَّفَ الشَّيخ المكّيُّ الكازرونيُّ كتابًا باللغة الفارسيَّة عنوانُهُ **الجانِب الغَربيّ في حَلِّ مُشكِلاتِ ابنِ العَرَبيّ**.

وبِدُخولِ الحجاز تحت الحُكم العُثمانيّ وإعلانِ الشَّريف بركات الثاني بنِ

مُحمَّدٍ (الذي حكمَ بينَ عامَيْ 1495م و1524م) ولاءَهُ للسُّلطان سليم، سَعَت السُّلطةُ العُثمانيَّةُ إلى تأمين طريق قَوافلِ الحَجِّ، وأنشأت مؤسَّسة أوقاف الحَرَمَيْنِ، وأنفقت بسخاءٍ على الحرمَيْنِ، بِما أسهم في استقرار منطقة الحجاز وفي جذبها كثيرًا من العُلماء والطُّلاب الذين شكَّلوا نواةَ حركةٍ فكريَّةٍ تركَّزَت في جانبَي التَّصوُّف والحديث. وكان للطّابع الصُّوفيِّ للتَّديُّن العُثمانيِّ أثرُهُ في انتشار الطُّرُق الصُّوفيَّة في الحجاز. ويشيرُ أحدُ الباحثينَ إلى أنَّ مكَّةَ المكرَّمةَ وَحدَها كانت تضُمُّ 156 رباطًا، الكثيرُ منها كان مخصَّصًا للصُّوفيَّة[1]. ولَمّا كانَ من أبرز خصائص التَّصوُّف في العهدِ العُثمانيِّ تأثيرُ فكرِ ابن عربيّ فيهِ، غَدا فكرُ ابن عربيّ - بحسب ما يَذكُرُ إيريك جوفروا - ركيزةً ثانيةً للتَّديُّن في العهد العُثمانيِّ إلى جانبِ الفقهِ الحنفيِّ[2]. ويُمكِنُنا عَدُّ النَّصِّ المحقَّق هنا خُلاصةً للفكر الأكبريِّ الذي انتشرَ في الحجاز في ذلك الزَّمن والذي كان أبرز ممثِّليهِ صفيّ الدِّينِ القشاشيّ (ت. 1071هـ/ 1661م)، وإبراهيم بن حَسَن الكورانيّ (ت. 1101هـ/1690م)، فَضلًا عن مُترجِمِ الكتابِ المحقَّقِ هنا ومُؤلِّفِهِ مُحَمَّدِ بنِ رَسولِ البرزنجيِّ. فلِضروراتِ تداوُل الكتاب في الحجاز، حيثُ تسودُ اللغةُ العربيَّةُ، تُرجِمَ إلى اللغة العربيَّة في نهاياتِ القرن الحادي عشر للهجرة (نهاياتِ القرن السّابع عشر للميلاد)، وجاءت التَّرجمةُ بصيغة كتابةٍ جديدةٍ أنجَزَها مُحَمَّدُ بنُ رَسولِ البرزنجيُّ الذي سمّى الكتاب **الجاذِب الغَيبيّ إلى الجانِب الغَربيّ في حَلِّ مُشكِلاتِ ابنِ العَرَبيّ**.

لقد ظلَّ كتابُ **الجاذِب الغَيبيّ** سنواتٍ طويلةً مَخطوطًا تتداوَلُهُ النُّخبةُ العلميَّةُ، دونَ أن يعرفَ طريقَهُ إلى الجُمهور الواسع عبر النَّشر. لذا، كانَتْ فكرةً طيِّبةً تلكَ التي دفَعَت الزَّميلَيْنِ بكري علاء الدِّين وناصر ضميرية إلى جمع

(1) حسين عبد العزيز، الشافعيّ، **الأربطة بمكّة المكرّمة في العهد العُثمانيّ: دراسةٌ تاريخيّةٌ حضاريّةٌ (923-1334هـ/ 1517-1915م)**، لندن، مؤسّسة الفرقان للتُّراث الإسلاميّ، 2005.

(2) Eric, Geoffroy, *Le soufisme en Égypte et en Syrie sous. les derniers Mamelouks et les premiers Ottomans: orientations spirituelles et enjeux culturels* (Damas: Institut français d'études arabes de Damas,1995), p. 133.

مخطوطاتِ هذا الكتاب ومباشرة تحقيقه اعتمادًا على مخطوط استنبول. وبعد أن اكتشف الدُّكتور ناصر ضميرية نسخةً مخطوطةً من الكتاب عليها خطُّ المؤلِّف، وهي نسخة مانيسا بتركيا[1]، منَحَهُ الدُّكتور بكري أَفضليَّةَ التَّحقيق فأكملَ العملَ منفردًا. فها هو ذا كتاب **الجاذِب الغَيبيّ** يَظهرُ اليومَ في حُلَّةٍ علميَّةٍ بعد انقضاءِ ما يَزيدُ على عشرِ سنواتٍ منذُ بدءِ التَّحقيقِ على مخطوطِ استنبول.

(1) يُنظَرُ وصفُ المخطوطات المعتمَدَة في تحقيق هذا الكتاب.

كلمة شكر

في عام 2008 وخلال حديثي مع الأستاذ بكري علاء الدين حول اهتمامي بموقف ابن تيمية من التصوّف عامّة ومن ابن عربي خاصّة، أعطاني صورة من مخطوط **الجاذب الغيبي** للبَرْزَنْجي وأشار إلى أنّ المؤلف جمع كل الانتقادات التي وجّهت إلى ابن عربي حتى زمانه وقام بالردّ عليها وشرحها. صورة المخطوط الذي أعطاني إياه هي لمخطوط المكتبة السليمانية بإستنبول (مجموعة لاله لي) التي رمزنا إليها بالحرف (س)، وأرشدني إلى وجود نسخة أخرى ورقية حديثة في المعهد الفرنسي لدراسات الشرق الأوسط بدمشق أهداها المرحوم رياض المالح للمعهد، أي: النسخة (م). وخلال البحث في أرشيف المعهد الفرنسي وجدت نسخة ميكرو فيلمية لمخطوط هدائي Hüdayi Ef. 506 في المكتبة السليمانية بإستنبول، وعملت على نسخها كاملة من الميكروفيلم. هذه النسخة اعتمدها عثمان يحيى في كتابه حول **تاريخ مصنفات ابن عربي**[1].

لاحقًا ومن خلال البحث تبيّن لي وجود نسخة أقدم، نُسخت في حياة المؤلف وقُوبلت على نسخته الأم، وهي نسخة مكتبة مانيسا Manisa في تركيا.

كان الاتفاق مع الأستاذ بكري أن نعمل معًا على تحقيق هذا العمل، ولكنّني بعد عدة سنوات عدت إليه بنسخة مُقارنة على أربع مخطوطات، مع إعادة مُعظم الإحالات والاقتباسات إلى مصادرها الأُولى، ومع تخريج كل الآيات القرآنية وإضافة الحواشي الضرورية. رأى الأستاذ بكري أنّني أتممت الجزء الأكبر

---

(1) Osman Yahya, *Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabī; étude critique*, Institut français de Damas, 1964, vol.1, p.23.

من العمل وأنّه من غير الإنصاف أن يضع اسمه عليه، علمًا بأنّه ساهم بالتحقيق، فقد راجع العمل كاملًا على مخطوطاته، وقام باقتراح العديد من التصحيحات والقراءات المُختلفة، وعمل على إضافة العديد من علامات الترقيم لتقسيم الفقرات إلى أفكار أصغر وأوضح، كما قام بصنع الفهارس. وقَبِل مشكورًا أن يكتب مُقدّمة لهذا العمل.

الشكر وحده لا يوفيه حقّه وجهده في هذا العمل، إذ لولا اقتراحه أولًا، ومراجعاته وملاحظاته ثانيًا، ومتابعته المستمرّة - التي لم تتوقّف إلى اليوم - لإخراج هذا العمل حتى آخر مراحله لما كان لهذا العمل أن يرى النور.

مع طلب الناشر من الدكتورة سعاد الحكيم تقديم المكتبة الأكبرية، ارتأت الدكتورة سعاد أن تراجع نص **الجاذب الغيبي** في نسخته شبه الأخيرة، وقد أفدنا من ملاحظاتها الدقيقة واقتراحاتها الوجيهة، فلها جزيل الشكر على ما قدمته من مساهمة في إخراج نص أدق وأوضح.

ولا بدّ أيضًا من شُكر السيد المرحوم فريد كيال (ت. 1440/ 2019) الذي قام بمراجعة للنصّ الأخير على النسخة الأُم واقترح العديد من التصويبات والقراءات المُختلفة، والتي ساعدت بإخراج نصّ أدقّ وأقرب إلى الصورة الأصلية. وكذلك أتوجّه بالشكر لجميع من ساهم في إخراج هذا العمل سواء بالمراجعة أو التدقيق اللّغوي أو إنجاز الفهارس أو الطباعة.

وأيضًا أودّ أن أشكر الأصدقاء في تركيا عدالت أقير، وخير الدين كودكلي، وحسن أوموت على مُساعدتهم في تصوير بعض ما احتجته من المكتبات التركية. وكذلك أتوجه بالشكر للأستاذ روبيرت ويزنوفسكي على قراءته للمقدمة التي كتبتها سابقًا باللغة الإنجليزية وعلى ملاحظاته القيمة.

وفي النهاية لا بد من شكر الأستاذ سالم الزريقاني مدير دار المدار الإسلامي للنشر على دقته في اتباع المعايير العلمية وحرصه على أدق التفاصيل وصبره على المراجعات العديدة.